

## نبوءة دانيال: الممالك الأربع وبدء ملكوت الله

لعل سفر دانيال في العهد القديم هو من أكثر الأسفار التي يُساء فهمها. وتعتبر نبوءات دانيال من أهم نبوءات العهد القديم، إذ كشفت عن الإمبراطوريات أو الممالك المتعاقبة التي ستظهر في التاريخ حتى مجيء المخلص والملك المسيح. لا بل قد حددت موعد المجيء الأول للمسيح، وبدء المسيح لعهد الجديد. وأشارت نبوءات دانيال إلى صعود المسيح حياً إلى السماء، وكيف سيعطيهِ الله سلطاناً ومجداً وملكوتاً، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة.

كانت النبوءة الأولى التي وردت في سفر دانيال هي حلم الملك البابلي نبوخذنصر العجيب، وكشف الله للنبي دانيال في رؤيا الليل الحلم وتفسيره.

رأى نبوخذنصر في الحلم تمثالاً عظيماً، رأسه من ذهب، صدره وذراعاؤه من فضة، بطنه وفخذه من نحاس، ساقاه من حديد، قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف. وبينما الملك ينظر في الحلم، قُطع حجر بغير يدين، وضرب التمثال على قدميه فسحقهما، وانسحقت كل معادن التمثال، ولم يوجد لها مكان. أما الحجر الذي ضرب التمثال، فصار جبلاً كبيراً وملاً الأرض كلها.

فما هو تفسير هذا الحلم العجيب المثير؟ فسّر النبي دانيال للحلم للملك نبوخذنصر فقال: "أنت أيها الملك هذا الرأس من ذهب. وبعذك تقوم مملكة أخرى أصغر منك، ومملكة ثالثة من نحاس فتتسلط على كل الأرض. وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد، لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء، وكالحديد الذي يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء. وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حديد، فالمملكة تكون منقسمة." وتابع النبي دانيال قائلاً: "وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً، وملكها لا يُترك لشعب آخر وتسحق وتفني كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد. لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل بلا يدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب. الله العظيم قد عرف الملك ما سيأتي بعد هذا. الحلم حق وتعبيره يقين." (دانيال ٢: ٣٨-٤٤، ٤١ و٤٥)

أجل لقد كشف الله للنبي دانيال سرّاً خطيراً، ونبوءة هامة للغاية. أشار التمثال العظيم الذي رآه الملك نبوخذنصر في حلمه إذن، إلى أربع ممالك أو إمبراطوريات ستتعاقد عبر التاريخ، إلى أن يأتي الملك المخلص يسوع المسيح، ويبدأ ملكوت الله. فمن هي هذه الممالك الأربع التي أشار إليها التمثال؟ ومن هي هذه المملكة التي ستعقبها وتسحقها جميعاً والتي سنثبت إلى الأبد؟

أخبرنا النبي دانيال في تفسيره للحلم، أن المملكة الأولى، الرأس من ذهب، هي مملكة بابل، التي كانت قائمة آنذاك، وكانت حقا مملكة عظيمة، وذات نفوذ كبير. وأخبر الله دانيال في رؤيا أخرى، أن المملكة الثانية، الصدر والذراعان من فضة، فستكون مملكة الفرس. وفعلا أنتت مملكة مادي وفارس بعد مملكة بابل في عام ٥٣٨ قبل الميلاد، وكانت أصغر منها، كما جاء في الحلم. أما المملكة الثالثة، البطن والفخذان من نحاس، فكانت الإمبراطورية اليونانية. وقد ظهرت على مسرح التاريخ، عندما انتصر إسكندر المقدوني ملك اليونان، على داريوس قدمانوس ملك الفرس عام ٣٣٣ قبل الميلاد. أما المملكة الرابعة، الساقان والقدمان من حديد وخزف، فقد كانت الإمبراطورية الرومانية، والتي قامت رسميا عام أربعة وخمسين قبل الميلاد. وكانت فعلا أقوى الممالك التي جاءت قبلها.

وكما جاء في حلم التمثال تماما، فقد قُطع في زمن الإمبراطورية الرابعة الرومانية، حجر بغير يدين وضرب التمثال على قدميه. إذ أقام الله إله السموات عندها، كما فسّر النبي دانيال، مملكة جديدة. مملكة تختلف بالكلية عن نوعية الممالك التي سبقتها، مملكة روحية. ومازالت هذه المملكة موجودة حتى يومنا هذا. وستملأ يوما ما الأرض كلها، وتسحق كل الممالك وتبقى إلى الأبد. فمن هو هذا الحجر الذي ضرب التمثال على قدميه؟ ومن هي هذه المملكة التي تسحق كل الممالك وتبقى إلى الأبد؟

قبل أن نجيب عن هذه التساؤلات لا بد أن نعود إلى نبوءة أخرى مشابهة، وردت في سفر النبي دانيال. ففي رؤيا رآها النبي دانيال، والمدوّنة في الأصحاح السابع من سفره، شُبّهت هذه الممالك الأربع بأربعة حيوانات. إذ رأى النبي دانيال أربعة حيوانات عظيمة تصعد من البحر.

الحيوان الأول كالأسد وله جناحا نسر، وهو يشير إلى المملكة الأولى، البابلية. والحيوان الثاني شبيه بالدب، ويشير إلى المملكة الثانية، الفارسية. والحيوان الثالث مثل النمر، ويشير إلى المملكة الثالثة، اليونانية. أما الحيوان الرابع فكان حيوانا هائلا وقويا جدا، وله أسنان من حديد كبيرة. وكان مخالفا لكل الحيوانات التي قبله، وله عشرة قرون. وكما علمنا من حلم التمثال فإن هذا الحيوان يشير إلى المملكة الرابعة الرومانية. وكما ذكرنا، فلقد تعاقبت هذه الممالك الأربع في التاريخ القديم، إلى أن أتى الملك المخلص المسيح، في زمان الإمبراطورية الرومانية، وبدأ ملكوت الله. ثم كشف الله في هذا الحلم للنبي دانيال، عن الاضطهاد الفظيع الذي سيقوم به أحد الأباطرة الرومان ضد المؤمنين بالمسيح، وعن نهاية الإمبراطورية الرومانية. إذ نقرأ قول النبي دانيال: "كنت أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التي تكلم بها القرن. كنت أرى إلى أن قُتل الحيوان -أي الحيوان الرابع- وهلك جسمه ودُفع لوقيد النار." (دانيال ٧: ١١) وهو ما حصل بالضبط في التاريخ أيضا.

نعم، لقد ولد المخلص الملك يسوع المسيح، في زمن الإمبراطورية الرومانية. ولقد كانت البشارة التي نادى بها المخلص

المسيح، هي بشارة اقتراب ملكوت الله. فبشارة ملكوت الله، هي الإعلان أن ملك الله أو سلطانه قد أصبح متوفراً للبشر، وأن زمن ملك الله قد حل. وأن الله وفرّ ذلك من خلال عمل الفداء الذي قام به المخلص المسيح، وقيامته الظاهرة من بين الأموات، وصعوده حياً إلى السماء. وأنه لكي يدخل الإنسان إلى هذا الملكوت، عليه أن يتوب عن خطاياها، ويؤمن بموت المسيح الكفاري على الصليب، وقيامته المجيدة من بين الأموات. وعندها يصبح الله ملكاً على حياته بواسطة روحه القدس.

ولكي يؤكد الله للنبي دانيال هذه الحقيقة عن مجيء الملك والمخلص يسوع المسيح وبدء ملكوت الله، أراه في ختام حلم الحيوانات الأربعة رؤياً عجيبة. فقد دوّن النبي دانيال في الأصحاح السابع، وابتداء من العدد الثالث عشر هذه الآيات المقدسة: "كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام ففقرّبوه قدامه. فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض." فمن هو هذا الذي رآه دانيال مع سحب السماء مثل ابن إنسان؟ ابن الإنسان الذي سيقرّب من الله، والذي سيُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً، أي سيتوجّج ملكاً، لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة؟ وأن سلطانه سيستمر إلى الأبد؟

من الملاحظ أن تعبير ابن الإنسان يرد هنا لأول مرة في العهد القديم من الكتاب المقدس. وهو يشير إلى المخلص المسيح. ولقد استخدم المسيح هذا التعبير للدلالة عن نفسه. فما هو المقصود به يا ترى؟ إن المخلص المسيح هو كلمة الله الأزلي، ابن الله الذي تجسّد وصار إنساناً. فالمسيح لم يولد من زرع بشري، بل حُبِل به بحلول الروح القدس في أحشاء العذراء مريم. وهكذا ولد المسيح يحمل طبيعتين الإلهية والبشرية. ولهذا كان المسيح يقول عن نفسه أحياناً أنه ابن الله، نسبة لطبيعته الإلهية. وأحياناً أخرى أنه ابن الإنسان، نسبة لطبيعته البشرية. وكلا التعبيرين صحيح.

لعل السؤال الآن كيف تمّت هذه الرؤيا التي رآها النبي دانيال؟ ومتى أعطي ابن الإنسان سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبّد له كل الشعوب والأمم؟ جواباً عن هذه التساؤلات نقول: لقد أرسل الله الآب الكلمة الأزلي الابن الوحيد إلى عالمنا وصار إنساناً، لهدف القيام بعمل الفداء لجنسنا البشري. وهكذا أتى المسيح كابن للإنسان، فهو آدم الثاني الذي انتصر على الخطية. وقدم جسده للتكفير عن ذنوب البشر. ثم قام حياً من بين الأموات، قاهراً الشيطان، وداحراً الموت عدو الإنسان اللدود. وبعد قيامته حياً من بين الأموات صعد المخلص المسيح كابن للإنسان إلى السماء. حيث أرى نفسه لله الآب، مؤكداً له أنه قد أنجز عمل الفداء. فأجلسه الله الآب عن يمينه أي في مركز القوة والسلطان، متوجّجاً إياه ملكاً ورباً.

لقد اقتبس الرب يسوع المسيح نفسه نبوءة دانيال هذه عندما أجاب أثناء محاكمته رئيس الكهنة عن سؤاله: "أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟" إذ أجابه المسيح قائلاً: "أنت قلت. وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن

يمين القوة وآتياً على سحب السماء. فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلاً قد جدّف. ما حاجتنا بعد إلى شهود. ها قد سمعتم تجديفه." (بشارة متى ٢٦: ٦٣-٦٥) لقد أدرك قيافا رئيس الكهنة أن المسيح بإجابته هذه أكد أنه ابن الله. وأنه ابن الإنسان الملك الحقيقي الذي تتبأ عنه النبي دانيال، الذي سيأتي على سحب السماء، ويُقرب إلى الله الآب. والذي سيجلس عن يمين القوة، ويُعطى له السلطان والمجد والملكوت لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. وأن سلطانه سيكون سلطاناً أبدياً، وأن ملكوته لن ينقرض. ولهذا مزق رئيس الكهنة ثيابه مدعياً أنه قد جدّف.

وعلينا أن نلاحظ هنا أن كل الدلائل تشير أن نبوءة دانيال هذه لا تتحدث عن ظهور المسيح في مجيئه الثاني على سحب السماء، بل تتحدث عن مجيئه الأول وانتصاره الكامل وتتويجه ملكاً، بقيامته الظاهرة، وصعوده حياً إلى السماء، وجلوسه عن يمين الله الآب في مركز القوة والسلطان.

وهكذا نرى تحقق رؤيا النبي دانيال التي تحدثت عن ابن الإنسان، وكيف أتى مع سحب السماء وجاء إلى القديم الأيام، أي إلى الله الآب، فقرّبوه قدّامه. وهاهو الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل، يكتب: عن عمل الله الآب "الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة واسم يُسمّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً. وأخضع كل شيء تحت قدميه." (الرسالة إلى أفسس ١: ٢٠-٢٢) يتضح لنا من هذه الآيات المقدسة، كيف تحققت رؤيا النبي دانيال، بصعود المسيح حياً إلى السماء. وعندها أجلسه الله الآب عن يمينه، معطياً له كل السلطان والقوة والسيادة، ومخضعاً كل شيء تحت قدميه.

لهذا قال المخلص المسيح لتلاميذه، قبل صعوده إلى السماء: "دفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر." (بشارة متى ٢٨: ١٨-٢٠) أكد المخلص المسيح لتلاميذه، أن السلطان الكامل قد أُعطي له كابن للإنسان، في السماء وعلى الأرض بعد أن أتم عمل الفداء. ولهذا دعاهم لكي يذهبوا ويكرزوا ببشارة الغفران والخلص، ويتلمذوا جميع الأمم. وهذا يفسّر لنا الرؤيا النبوءة، التي رآها النبي دانيال أن السلطان والمجد والملكوت قد أُعطي لابن الإنسان، أي للمسيح المخلص. والهدف لكي تؤمن به، وتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة.

وها هو الرسول بولس يكتب في مكان آخر، عن المسيح كابن للإنسان قائلاً: "لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم. لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب." (الرسالة إلى فيليبي ٢: ٩-١١) لقد رفع الله الآب المخلص المسيح. وأعطاه اسماً فوق كل اسم، أي أعطاه

سلطانا ومجدا وملكوتا، كما جاء في نبوءة دانيال، لكي تتعبد له ولتجتو باسمه كل ركبة، وليعترف كل لسان أن المسيح هو الرب الملك.

أجل، لقد تمّت النبوءة التي أعلنها لنا الله من خلال حلم التمثال ورؤيا الحيوانات الأربعة وبشكل كامل، وفي زمن الإمبراطورية الرابعة الرومانية - وهو ما سيتأكد لنا في المقالة التالية عندما نتحدث عن نبوءة السبعين أسبوعا - وليس صحيحاً ما يدعيه البعض أن هذه النبوءة قد تمّت جزئياً، وأن إتمامها الكلي سيتم في المستقبل. إذ أن ادعاءهم هذا يقوم على افتراضات خاطئة. تلك الافتراضات التي تقول أن المسيح في مجيئه الأول لم يتم كل وعود الله، وبالتالي لم يملك. وأنه قد تمّ تأجيل الملكوت إلى زمن آخر سيأتي في المستقبل. وأن عصر الكنيسة الحالي، أو عصر النعمة، هو فترة معترضة في تاريخ معاملات الله مع الإنسان. وأنه مازال يوجد لله شعبان، شعب سماوي هو الكنيسة، وشعب أرضي هو الشعب القديم. وأن الإمبراطورية الرومانية ستعود وتظهر، عن طريق الإتحاد الأوروبي. إن هذه كلها افتراضات خاطئة ليس لها أساس كتابي.

لهذا نقول وبكل تأكيد وثقة أن ملكوت الله قد بدأ بمجيء المخلص المسيح - الذي هو الحجر بغير يدين - وإتمامه لعمل الخلاص. وهكذا ظهرت إلى الوجود مملكة روحية جديدة. وما زالت هذه المملكة تنتشر، وستسحق كل ممالك الأرض، وتبقى إلى الأبد. وكل من يؤمن اليوم بالمخلص المسيح، يصبح عضواً في هذه المملكة الروحية الجديدة.